فالحكمة : كلمة ثقافية جليلة وهي كلمة عصامية نشأت وارتفعت من اصل متواضع اصلها من اربطة الدواب ، ان الحكمة جاءت من « الحكمة ــ وزان السمكة ــ وهي جزء من لجام الفرس : الجزء المحيط بالحنك من اللجام قالوا ــ العرب الاقدمون « حكمت الفرس واحكمته » ــ من باب ضربته وادبته بمعنى وضعت الحكمة في فمه ، ووضعك الحكمة في فم الفرس يعني سيطرتك عليه ، ومن هنا صار «الاحكام» وزان الاحسان يعني التوثيق والاتقان ، وصار «الحكم» وزان اللطف يعني السيطرة ، و«الحاكم» يعني المسيطر والامر والسلطان ، ثم اشتق من هذه المادة «التحكم» وهو تكلف الحكم او التعسف فيه وبعد ان ثبت هذا المعنى للحاكم اشتقوا منه « المحاكمة » فقالوا : «حاكمت الرجل» بمعنى خاصمته الى الحاكم ، و«تحاكم الرجلان» اليه بمعنى تخاصما اليه « فحكم بينهما » اي اصدر حكمه فيهما ، ومن هنا صار «الحكم» يعني القضاء اي الفصل بين «المتحاكمين» ايضا ومن هنا اشتقت «المحكمة» وهي دار «الحكم» او دار «المحاكمة» او دار «التحاكم او الاحتكام» ، وصار الحاكم يعني القاضي وهكذا اصبح للحاكم معنيان : احدهما : الامر المسيطر ، والثاني القاضي والقاضي غير القاضي الشرعي ، يسمى في العراق «الحاكم» والجمع «الحكام» وبعد ان اخذت الكلمة معنى القضاء اصبح من السهل اشتقاق «الحكم» ــ وزان القلم والتحكيم منها ، كذلك اصبح للتحكيم نفس المعنيين اي التسليط وطلب الراي فقالوا مثلا : حكم الرجل عاطفته او عقله في المسألة بمعنى سلط عاطفته عليها او عرضها على عقله للوصول الى راي فيها ، وقالوا : حكمناه في الخلاف بمعنى طلبنا حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة) بمعنى طلبنا حكمه فيه او جعلناه حكما فيه واستعمل عرب الجاهلية (الحكومة) بمعنى : « حكم الحكم » فقال شاعرهم :

ما انت بالحكم الترضى حكومته

ولكننا لا نستعمل «الحكومة» الآن الا بمعناها السياسي المعروف .

ولما كان الناس انما «يحتكمون» الى ذي عقل وفطنة فقد اصطبغ «الحكم» وزان الشكر ــ بهاتين الخصلتين ، اي العقل والفطنة بالاضافة الى معنييه السابقين الامرة والقضاء وقد جاء في القرءان : « وءاتيناه الحكم صبيا » اي ءاتيناه الحكمة

ومن الحكم بمعنى الحكمة اشتقوا « الحكيم » مثل اشتقاق الطبيب من الطب واللطيف من اللطف ، والنبيل من النبل وبسبب ازدحام المعاني على كلمة «الحكم» اختصت لفظة الحكيم بمعنى الحكمة وبقيت « الحاكم » تعني الامر او القاضي ولا تعني الحكيم خلافا للامر والامير والفاضل والفضيل والجاهل والجهول التي تشترك كل واحدة منها في معنى صنوها .

وقد كثر استعمال صيغة « الحكمة » لمعنى الحصافة والفطنة لانها ابين من الغرض من لفظة « الحكم » المزدوجة المعنى ، التي كانت ما تزال تستعمل في كلا المعنيين عند ظهور الاسلام وهكذا زال معنى الحصافة من الحكم والحصيف من الحاكم بدافع من الرغبة في اجتناب اللبس فتخصص معناها في التسلط والقضاء كما زال معنى الامرة من «الحكمة» و«الحكيم» فاختص معناها بالحصافة ولما كانت المحاكمة تتطلب مناقشة القضايا وتمحيصها ، فقد صارت هذه الكلمة تعني بالاضافة الى ما تقدم نفاذ الفكر وسداد المنطق فقالوا : « فلان قوي المحاكمة » اي ثاقب البصيرة في تمحيص المسائل العقلية دون ان يكون للامر علاقة بالقضاء بين المتحاكمين من الناس .

وفي العهد الاسلامي اطلقت « الحكمة » على الفلسفة وما هو بسبيلها من العقلانيات ثم اطلقت « الحكمة » على الطب وسمي الطبيب حكيما وظاهر ان سبب ذلك هو ان الكثيرين من « الحكماء » ــ اي الفلاسفة زاولوا الطب على ذلك العهد مثل الكندي والخيام وغيرهما .

ولا باس ان نورد هنا مثلا كان شائعا في العراق. يوم كان الطبيب يسمى حكيما هو قولهم : « لا سلط الله عليك حاكما ولا حكيما » ولا زال يستعمل في صعيد مصر .

وهكذا تعددت مناحي تطور هذه الكلمة فصار لها نشاطها الخلاق في ميادين السياسة والادارة والقضاء والفلسفة والطب بالاضافة الى معناها الثقافي العام .

هذه هي الحياة في اللغة العربية حياة جعلتها اكثر مرونة من غيرها من اللغات فانت ترى انها اكثر